مجاهدات في قعر البيوت

أبو الحسن بن محمد الفقيه

مصدر هذه المادة :





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

الجهاد في سبيل الله من آكاد الفرائض وأحب الأعمال إلى الله جل وعلا، فلقد ورد في فضله نصوص كثيرة في الكتاب والسنة كلها تدل على منزلة هذه العبادة العظيمة عند الله...

والجهاد عند الإطلاق يقصد به جهاد أعداء الله وقتالهم لإقامة دين الله.. ولكنه أحيانًا يطلق على بعض العبادات في الإسلام لتأكيد فضيلتها وخيريتها ومكانتها عند الله جل وعلا.. وهذا النوع من الجهاد هو المعنيُّ عندنا في هذا الكتاب..

فلقد سمى رسول الله ﷺ بر الوالدين جهادًا.. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: أقبل رجل على النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. فقال ﷺ: «**فهل لك من والديك أحد حيٌّ؟**» قال: نعم. بل كلاهما. قال: «**فتبتغي الأجر من الله تعالى؟**» قال: نعم، قال: «**فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما**».

وفي رواية: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، ولفظ الرواية الأولى لمسلم.

وسمي الحج أيضًا جهادًا. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال: «**لكن أفضل الجهاد حج مبرور**» [رواه البخاري].

فبر الوالدين والإحسان إليهما وطاعتهما وما يقتضي ذلك من الصبر والتحمل كله من الجهاد الذي يحبه الله ويرضاه لعباده، وكذلك الحج لما فيه من بذل المال والصبر على أداء الشعائر.. وهذان الحديثان أصل في أن بذل النفس والمال تحقيقًا للطاعة من الجهاد الذي أمر الله تعالى به حيث قال: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إذن فالحياة كلها جهاد.. جهاد للنفس.. وجهاد للهوى.. وجهاد لشهوات الدنيا وزينتها وجهاد للشيطان.. وجهاد لأهل الشرك والكفران.. فما هو سبيل تحقيق هذا الجهاد؟

الحياة كلها جهاد

يعيش المسلم في هذه الحياة الدنيا في مضمار ابتلاء وامتحان.. شاء ذلك أم أبى.. لأن الله جل وعلا هو الذي خلق الإنسان وخلق الدنيا وخلق الحق والباطل وخلق الامتحان.. ثم جعل صراع الإنسان مع نفسه وأعدائه في دائرة هذه المخلوقات أمرًا مقضيًا.. قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الملك: ٢].

فالحياة ابتلاء.. ولابد من الجهاد لتخطي ذلك الابتلاء..

بالمصابرة والمثابرة والمكابدة.. وليس للإنسان إذا رام النجـــاح إلا سلوك هذا الطريق.. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَـــدٍ﴾ [البلد: ٤]. قيل في تفسيرها: يكابد أمرًا من أمور الدنيا وأمرًا مـــن أمور الآخرة: وقيل: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة [(١)].

لابد للمـــرء مـــن ضـــيق ومـــن ســـعة
ومـــن ســـرور يوافيـــه ومـــن حـــزن
والله يطلـــب منـــه شـــكر نعمتـــه
مـــا دام فيهـــا ويبغـــي الصـــبر في المحـــن
فما علـــى شـــدة يبقـــى الزمـــان يكـــن
ولا علـــى نعمـــة تبقـــى علـــى الـــزمن

أختي المسلمة... فلا تظنين أن البطالة في الحيـــاة تنـــال بهـــا الدرجات.. فلا محيد لمن أراد جني ثمار السعادة في الدنيا والآخـــرة عن سلوك طريق العبادة.. وطرق أبواب الزهادة.. وركوب قارب الإيمان والتقوى.. والصبر على المضار والبلوة.. قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وفسر اليقين في الآية بالموت لأنه حاصل لا محالة، و ﴿حَتَّـــى﴾ للغاية.. فكان مفهوم الآية دالاً على ملازمة العبادة بمفهومها الشامل دون انقطاع حتى ينقطع عمر الإنسان بالموت. وهذا يقتضي مجاهدة الموانع الذاتية والموضوعية التي تعيق الإنسان عن العبادة. فما معـــنى المجاهدة؟ وما هو أساسها؟

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٥١٣.

* معنى الجهاد: هو بذل الوسع والجهد وتحمل المشاق والصعاب في سبيل مغالبة النفس والهوى والدنيا والشيطان ابتغاء مرضاة الله جل وعلا.

وهذه المجاهدة هي التي مدح الله جل وعلا العاملين بها، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن القيم في تفسيرها: علق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا. وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا. فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته.

ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد[1].

ولقد ذهب إلى هذا المعنى الإمام الجليل: الحسن البصري. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]. هي والله عقبة شديدة:

مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان وأنشد بعضهم:

إني بليت بأربع ما سلطوا
إلا لعظم بليتي وشقائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائي

---

(١) الفوائد لابن القيم ص٩١.

وقال آخر:

إني بليـــــــت بـــــــأربع يـــــــرمينني
بالنبـــل قـــد نصـــبوا علـــي شـــراكا
إبلـــيس والـــدنيا ونفســـي والهـــوى
مـــن أيـــن أرجـــو بينـــهن فكاكـــا
يـــا رب ســـاعدني بعفـــو إنـــني
أصـــبحت لا أرجـــو لهـــن ســـواك

فمن أطاع مولاه، وجاهد نفسه وهواه.. وخـــالف شـــيطانه ودنياه.. كانت الجنة مأواه...

ومن تمادى في غيه وطغيانه.. وأرضى الدنيا زمام عصـــيانه.. ووافق نفسه وهواه في لذاته ومناه.. وأطاع شـــيطانه في منشـــطه وبلواه كانت النار أولى به، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَـى * وَآثَـرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَـامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَـإِنَّ الْجَنَّـةَ هِـيَ الْمَـأْوَى**﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أخبر «**أن النار حجبت بالشهوات والجنة حجبت بالمكاره**»(١) فلا طريق إلى الجنة إلا طريق الصبر على المكاره، ولا نجاة من النار إلا بمدافعة الشهوات والملذات!!

فكيف تكون المؤمنة مجاهدة في بيتها؟

---

(١) روى ذلك في حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم.

جهاد النفس

والنفس هي سر الله في خلقه، خلقها فيها وألهمها طرق الغــي وطرق الرشاد.. وجعلها ميالة للشهوات.. مقبله على الملــذات.. منساقة للمغريات.. ولذا فهي تستوجب الإرغام حــتى تعــود إلى رشدها الذي ألهمته في أصل خلقها.. وأن تكــبح وتزجــر.. وأن تخالف وتنهر.. حتى تنساق بكاملها إلى مولاها وبارئها..

قال أحد السلف: ما زلــت أســوق نفســي إلى الله وهــي ساخطة.. حتى انساقت إليه وهي تضحك!!

أختي المسلمة..

تذكري أن جهاد النفس أشق ما يقوم به الإنسان في جهــاده كله.. لأن النفس متعلقة بالذات.. وكل وساوسها وأمانيها تنطبع في قلب الإنسان على أنها مصالح نافعة.. فيميل إليهــا ويألفهــا.. فيكون في ألفتها هلاكها..

لذا فإن أوامر النفس تقتضي الحيطــة والحــذر.. والحكمــة والتأني.. لتمييزها ودفعها. يقول تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

فجاهدي – أُخية – نفسك بالطاعــات، وتحملــي مشــاق مخالفتها.. حتى تتمرس على القربات.. فإنها إذا تعودت طاعــة الله صارت لك عونًا بعد أن كانت عدوًا.. وهاتفيها كلما رأيت منها خمولاً بقولك:

يـــا نفـــس تـــوبي عـــن فعـــالا منكـــره
واســـــعي إلى دار البقـــــا مستبشـــــرة
يا نفـــس فـــاز القـــوم مـــن رب العـــلا
بـــــالعفو عـــــن زلاهتـــــم والمغفـــــرة
يـــا نفـــس قـــد قطعـــوا النـــهار لـــرهبم
صـــــومًا وفـــــازوا بـــــالعلا في الآخـــــرة
يـــا نفـــس ويحـــك للعتـــاب فبـــادري
مـــن قبـــل أن تـــأتي الـــذنوب مســـطرة
يـــا نفـــس إن القـــوم زادوا خيفـــة
مـــــن مكـــــره وقلـــــوهبم متنكـــــرة
يـــا نفـــس جـــدي في التقـــى وتـــزودي
عمـــــلاً وكـــــوني للقـــــا مستشـــــعرة
يا نفس كم قوم علـــى الـــدنيا احتـــووا
ظلًمـــــا ومـــــا لهـــــم إذا مـــــن آخـــــرة
يا تفـــس كـــم قـــوم تـــافنوا في الـــبلا
وعظـــامهم أضـــحت عظامًـــا نـــاخرة
يا نفس توبي اليـــوم مـــن قبـــل الـــردى
فعســـى تكـــوني في غـــد مستبشـــرة
يـــا نفـــس آه مـــن الـــذنوب وكلـــها
يـــوم القيامـــة في الكتـــاب محـــررة

* طريق مجاهدتها: وأما طريق مجاهدة النفس فيكمن في أربعـــة

أمور:

الأمر الأول: كبح جموحها إلى المحرمات: وهذا يستوجب العلم بالمحرمات، ومراقبة الله جل وعلا وإيثار طاعته وأمره، قال تعـــالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّـــةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

ولقد ورد في الكتاب والسنة جملة من الوسائل المفيدة التي تعين على إلزام النفس حدود الله جل وعلا وتكبحهـــا عـــن الميـــل إلى الشهوات، وتوهنها فلا تقوى على ذلك.

فمن ذلك الصيام فإن فضله في تهذيب الـــنفس لا يضـــاهي.. وثوابه عند الله لا يتناهى.

وكذلك الذكر وقراءة القرآن وأداء النوافل والرواتب وســـائر الطاعات التي سنبينها في هذا الكتاب – بإذن الله تعالى –.

الأمر الثاني: إجبارها على أداء الواجبات.. وذلـــك بمدافعـــة تسويفاتها وإقعاسها وتكاسلها وتثاقلها عن أداء الصلوات.. وهـــذا يقتضي في أول الأمر مصابرة ومثابرة، لكن النفس إذا تعودت أداء الواجبات أصبحت منتظمة على ذلك فلا تمل ولا تكل.. لأنها قابلة للمطاوعة.. بل إن الأصل فيها هو طاعة الله ولذلك خلقت.. وإنما عارضها ناتج عن الشهوات التي تنتابها فإذا وجدت من يردهـــا إلى مولاها.. ويصابرها على ذلك.. عادت إليه مستبشرة ضاحكة.

الأمر الثالث: محاسبتها، فإن الله جل وعلا قد أرشـــد لـــذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]. فمحاسبة النفس تمكن من الاطلاع على عيوبها، وكشف مواطن غيها، ثم التوبة من ذلك كله، والاجتهاد في الطاعة تكفيرًا عما فات من الذنوب، ورد الحقوق إلى أهلها ما كانت.

كان توبة بن الصمة من المحاسبين لأنفسهم، فحسب يومًا، فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم [(١)]، فصرخ، وقال: يا ويلتي! ألقى ربي بواحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف وفي كل يوم آلاف من الذنوب؟

وتذكري – أُخيتي المسلمة – أن محاسبة النفس هي صفة المؤمنين المشفقين ولذلك قال الحسن: لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه: ماذا أردت تعملين؟ وماذا أردت تأكلين؟ وماذا أردت تشربين؟

والفاجر يمضي قدمًا لا يحاسب نفسه.

وقال ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه. ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

وإليك – أختي المسلمة – صيغة المحاسبة كما ذكرها الإمام ابن القيم [(٢)]:

---

(١) وقد حسبتها فوجدتها عشرون ألف يوم وتسعمائة يوم، فلعله لم يبلغ الستين بالتمام.

(٢) من إغاثة اللهفان بتصرف.

١- أن تبدئي بالفرائض، فإذا رأيت فيها نقصا تداركته.

٢- المناهي، فإذا عرفت أنك ارتكبت منها شـــيئًا تداركتـــه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

٣- حاسبي نفسك على الغفلة وتداركي ذلك بالذكر والإقبال على الله.

٤- حاسبي نفسك على حركات الجوارح! كـــلام اللســـان، ومشي الرجلين، وبطش اليدين، ونزر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أردت بهذا؟ ولمن فعلتيه؟ وعلى أي وجه فعلته؟

وتذكري – أختي المسلمة – أن خلق المحاسبة عزيـــز مطلبـــه وصعب مركبه.. لا ينال إلا باتخاذ الأسباب المعينة عليه.. والوسائل المؤدية إليه.

الأمر الرابع: فاستيعيني على محاسبتها بتهذيبها و تزكيتها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] وتزكية النفس من أعظم العبادات وأجلها وأرجى الدواء لإصلاحها وتنقيتها من الشوائب والأمراض وإنما تكون:

١- بمجاهدتها على ملازمة الأذكار والأدعية المأثورة، كأذكار الصباح والمساء، وأذكار الأحوال العارضية، والذكر على كل حال ومن ذلك:

* الإكثار من التوبة والاستغفار قيامًا وقعودًا وعلى الجنـــب، سواء في داخل السيارة، أم في المطبخ أم في السوق، أم في ســـاعات

الفراغ.. فلا ينبغي لك السهو عن الاستغفار لحظة واحدة لأنه من أنفع الأذكار للنفس وأعظم وسائل التزكية والصلاح. قال تعـــالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفرْ لي وتب علي إنـــك أنـــت التواب الرحيم**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يا معشـــر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهـــل النار**» قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قـــال: «**تكثـــرن اللعن، وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلـــب لذي لب منكن**» قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: «**شـــهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي**»[1].

فهذا الحديث نص في حث النساء على الإكثار من الاســـتغفار والتوبة على كل حال.

* قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة في اليوم، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يـــوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حســـنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلـــك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد أفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من**

(١) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

ذلك. ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر» [رواه البخاري].

* التسبيح والتهليل والتكبير: فعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**» [رواه مسلم].

وقال سمرة بن جندب ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر**» [رواه مسلم].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة**» [رواه مسلم].

وروت يسيرة، إحدى المهاجرات رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عليكن بالتسبيح، والتهليل، والتقديس، ولا تغفلن فتنسيْن الرحمة، واعقدن الأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات**»(١).

٢- الإكثار من السجود: فهو من أعظم طرق مجاهدة النفس وتزكيتها لما في السجود من الفضائل والثواب والبركة، فعن أبي فراس بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ ﷺ قال: كانت

(١) رواه الترمذي وأبو داود وإسناده حسن.

أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه، وحاجته، فقـــال: ســـلني. فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: أو غير ذلك؟ قلت: هـــو ذاك. قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» [رواه مسلم].

وعن أبي عبد الله ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها سيئة**» [رواه مسلم].

سبحان من لـــو ســـجدنا بـــالعيون لـــه
على شبا الشـــوك والمحمـــي مـــن الإبـــر
لم نبلـــغ العشـــر مـــن معشـــار نعمتـــه
ولا العشـــير ولا عشـــرًا مـــن العشـــر
هـــو الرفيـــع فـــلا الأبصـــار تدركـــه
ســـبحانه مـــن مليـــك نافـــذ القـــدر
سبحان من هـــو أنســـي إذ خلـــوت بـــه
في جوف ليـــل وفي الظلمـــات والســـحر
أنت الحبيب وأنـــت الحـــب يـــا أملـــي
من لي سواك ومـــن أرجـــوه يـــا ذخـــري

٣- اجتناب أسباب أمراض النفس: وهي كثـــرة المخالطـــة، وكثرة الأكل، وكثرة النوم، وتعليق القلب بغير الله.

فكثرة المخالطة توجب قسوة القلب وتورث الغفلـــة، فكـــم جلبت من نقم، ودفعت من نعم، وأنزلت من محن، وأحلت مـــن رزية، وأوقعت من بلية، وهل آفة الناس إلا الناس.

ولذا – أختي المسلمة – فإن قرارك في بيتك وخلوتك بربك واجحتناب كثرة مخالطة الناس من أعظم وسائل إصلاح نفسك، ولا بأس بمخالطة الناس بالقدر الذي لا يحدث معه قسوة ولا يوجب معه الوقوع في المحظورات كالجدال والغيبة والنميمة والتنافس في الدنيا والتوسع في المباحات!

أنســـت بوحـــدتي ولزمـــت بـــيتي
فـــدام الأنـــس لي ونمـــا الســـرورُ
وأدبـــني الزمـــان فـــلا أبـــالي
هجـــــرت فـــــلا أزار ولا أزورُ
ولســـت بســـائل مـــا دمـــت حيًـــا
أســـار الخيـــل أم ركـــب الأمـــير

وكان سفيان الثوري يقول في زمانه: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين، هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن.

فإذا كان ذلك في زمانه فماذا نقول نحن في زماننا!!

وقال منصور بن الفقيه:

الخير أجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا وذا فاقنع له بأقل قوت

فطوبى لأخت لزمت قعر بيتها وجاهدت فيه نفسها.. وأمسكت عن الناس بأسها.. وذكرت ربها.. وقرأت وردها.. وصامت يومها.. وقامت ليلها.. وأطاعت بعلها.. وكانت بذلك

من القانتين!

وأما كثرة الأكل، فإنها تورث التثاقل عن أداء العبادة.. وتبلـــد النفس وتكاسلها وتقاعسها عن العمل، وقلة الأكل أو الصوم يضيق على الشيطان مجاريه، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الـــدم، والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيرًا شرب كثيرًا، فنام كثيرًا، فخسر كثيرًا وفي الحديث: «**ما ملأ آدمي وعاءً شرًا مـــن بطنـــه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[١].

وأما كثرة النوم، فإنها تميت القلب، وتثقل البـــدن، وتضـــيع الوقت، وتورث كثرة الغفلة والكسل. وأنفع النوم للـــنفس، نـــوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمان ساعات، وهذا أعدل النوم عند الأطباء، وما زاد عليه أو نقص منه أثر عنـــدهم في الطبيعة، انصرافًا بحسبه.

وأما التعلّق بغير الله، فهو سبب كل شر وبلاء، وسبب التعاسة والشقاء.. من ابتلي به فقد ابتلي بعظيم.. وهلاك جسيم.. وهلاكه بحسب تعلقه وانشغاله.. ولا دواء لهذا الداء إلا بالـــذكر والـــدعاء وتجديد التوبة والاستغفار وطرق أسباب زيادة الإيمان وتجديده.

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٦٧٤.

جهاد الشيطان

فلقد أقسم عدو الله إبليس على غواية بني آدم والوقوف لهم في طريق العبادة والطاعة بالتزيين والتخويف والنفث والهمز، قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

ولذا – أختي المسلمة – فإن مجاهدته من آكاد الجهاد وأوجبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

ومن كان سببًا في إخراج أبينا آدم عليه السلام إلا الشيطان؟

ومن أضل الناس ومناهم وأغواهم إلا الشيطان؟

فهو سبب كل شر وبلاء، جعله الله فتنة وابتلاء ليميز به الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر، والمخلص من المرائي، والصادق من الكاذب.

ولذا فإن عليك طرق أسباب مدافعته ومغالبته، فهو لا يهدأ ليلاً ونهارًا، ولا يكل ولا يمل في تضليل الإنسان وإغوائه.

* طريق مجاهدته: وكل ما أسلفنا ذكره من تزكية النفس ومحاسبتها وتقويمها وتزكيتها له الأثر الكبير في تنكيس الشيطان ودحره، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ذكر رسول الله ﷺ «**أن قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له في اليوم مائة مرة، تكون لقائلها حرزًا من الشيطان ذلك اليوم**» كما سبق الكلام عليه. فعليك أختي المسلمة – بالمحافظة التامة على هذا الذكر فإنه أفتك سلاح

بوساوس إبليس ونفثاته.

وعن الحسن رحمه الله أنه قال: إذا نظر إليك الشيطان فـــرآك مداومًا في طاعة الله فبَغاك وبغاك.. فرآك مداومًا.. مَلك ورفضك، وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك[١].

وكذلك قلة الأكل فهي من أهم وسائل دفعه، وتضعيفه وتهوينه وتحطيم قوة إضلاله وتزيينه. فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فإذا ضاقت عليه المجاري ألجمته.

وذكر ابن القيم في كتابه مدارك السالكين [٢]: أنه حكـــي أن لإبليس – لعنه الله – عرض ليحيي بن زكريا عليهما السلام، فقال له يحيى: هل نلت مني شيئاً قط؟

قال: لا. إلا أنه قدم إليك الطعام ليلة فشهَّيتُه إليك حتى شبعت منه، فنمت عن وردك، فقال يحيى: لله عليّ أن لا أشبع من طعـــام أبدًا.

فقال إبليس: وأنا لله عليّ أن لا أنصح آدميًا أبدًا.

وكذلك الأذكار عامة، فإنها من أحد مقامع الشيطان وأشدها بأسًا عليه، فكلما ذكر الله خنس، وكلما غفل المسلم عن ذكر ربه عاد الشيطان بوساوسه يبتغي الإضلال والغواية.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد، ص٧ رقم (٢٠).
(٢) مدارك السالكين (٤٥١/١).

جهاد الهوى

والهوى أشد على الإنسان من عدو غالب، ففتكـــه بـــالنفس يتعداها لأنه يورث طبع التفريط، ويخذل صاحبه، ويحرمه التوفيـــق. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وإذا كانت النفس الأمارة بالسوء تقتضي المجاهدة والمغالبة فأنها تميل إلى الهوى والآراء الفاسدة والشـــهوات والملـــذات، وميلـــها وانحدارها إلى ذلك وملازمتها له واعتيادها عليه هو الهوى عينه.

يـــا طالـــب خـــذ فائـــدة مـــــا بعـــــد إذا زائـــــدة

لذا – أختي المسلمة – عليك أن تشمري لمدافعته ومغالبتـــه، فكل المحرمات التي تميل إليها نفسك سواء من الاعتقادات والظنون أو الأقوال أو الأعمال هي من دولة الهوى الـــتي ترعاهـــا الـــنفس الأمارة بالسوء.

* طريق مجاهدته:

١- الصبر و المصابرة على مفارقة المعاصي بأشكالها، وإحداث العزيمة الصلبة لذلك.

٢- ملاحظة ألم أهل الأهواء وما يلاقونه من تعـــب ونصـــب وسوء خاتمه في الدنيا فضلاً عن الحساب والعقاب يـــوم القيامـــة ومقارنة ذلك بلذة الصبر والطاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وإذا تأملت – أختي المسلمة – من انجرفن مع أهوائهن فاشتغلن بالغناء واللهو والسفور ومخالطة الرجال وجدتهن أبعد عن السعادة والطمأنينة!!

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

٣- تفكري – أختي – أنك لم تخلقي لمتابعة الهوى، وإنما خلقت لمخالفته وعبادة الله. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٤- تصوري انقضاء غرضك مما يدعو إليه الهوى ثم تصوري حالك بعد انقضاء المعصية.. أليس ما تجنيه من اتباع الهوى هو الندم والحسرة وملامة النفس!

٥- تذكري أن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق.

٦- تذكري أن لكل عبد بداية ونهاية، فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والصغار.

ومـــن الـــبلاء وللـــبلاء علامـــة
أن لا يـــرى لـــك عـــن هـــواك نـــزوع
العبـــد عبـــد الـــنفس في شـــهواتها
والحـــر يشـــبع تـــارة ويجـــوع

وتذكري أختي المسلمة...

أن مغالبة الهوى طريق الولاية والنصرة من الله جل وعلا، قال

تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَــإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

إذا ما وجـــدت المـــرء يعتـــاده الهـــوى
فقـــــد ثكلتـــــه عنـــــد ذاك ثواكلـــــه
وقـــد أشمـــت الأعـــداء جهـــلاً بنفســـه
وقـــد وجـــدت فيـــه مقـــالاً عواذلـــه
ولا ينزع النفس اللجـــوج عـــن الهـــوى
مـــن النـــاس إلا وافـــر العقـــل كاملـــه

مجاهدة الدنيا

وأما الدنيا فإنها أداة الغواية ووسيلتها، فمن تغشاها سحرته... ومن طاوعها بهرته.. ومن أطلق بصره في مفاتنها صـــرعته.. قـــال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن الاغترار بها.. وحذر من سحرها فقال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله تعالى مستخلفكم فيهـــا فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**» [رواه مسلم].

قـــد نـــادت الـــدنيا علـــى نفســـها
لـــو كـــان في العـــالم مـــن يســـمع
كـــــم واثـــــق بـــــالعمر أفنيتـــــه
وجـــــامع بـــــددت مـــــا يجمـــــع

قال بعض السلف احذروا دار الدنيا فإنها أسحر من هـــاروت وماروت، فإنهما يفرقان بين المرء وزوجه، والدنيا تفرق بين العبـــد وربه.

أختي المسلمة...

وتذكري أن الدنيا ما هي إلا دار ابتلاء.. لا دار مقامة.. وأنها بما فيها من مغريات وشهوات تهيئ لناظرها أنها دار الخلود فيخدع بجمعها والحرص عليها.. فيدركه الموت وقد باع نفـــيس الآخـــرة بخسيس الأولى...

عفـــــــت الـــــــدنيا لطالبـــــــها
واســـــــتراح الزاهـــــــد الفطـــــــن
كـــــل ملـــــك نـــــال زخرفهـــــا
حســـــبه ممـــــا حـــــوى كفـــــن
يقـــــــتني مـــــــالاً ويتركـــــــه
في كـــــلا الحـــــالين مفـــــتتن

قال رسول الله ﷺ: «**مالي وللدنيا! إنما مثلي ومثـــل الـــدنيا، كمثل راكب قام في ظل شجرة ثم راح وتركهـــا**» [رواه أحمـــد والترمذي].

* طريق مجاهدتها:

وأما مجاهدتها فطريقة الزهد فيها وفي أوحالها، وترك الحـــرص على امتلاكها، والرضى بالقليل من خيراتها واســـتعانة بـــه علـــى ضرورات الحياة فيها.

تبلــــغ مـــــن الـــــدنيا بأيســـــر زاد
فإنــــــك عنـــــها راحـــــل لمعـــــاد
وغــض عــن الــدنيا وزخــرف أهلــها
جفونـــــك وأكملـــها بطيـــب ســـهاد
وجاهد عـــن اللـــذات نفســك جاهـــدًا
فـــإن جهـــاد الـــنفس خـــير جهـــاد
ومـــــا هـــــي إلا دار لهـــــو وفتنـــــة
وإن قصـــــارى أهلـــــها لنفـــــاد

قال عمر بن الخطاب: الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن.

فإياك – أختي المسلمة – أن تطيلي فيها الأمل.. أو تتخــذيها وطنًا وسكنًا.. فإنها هي أيام.. نعيمها يبلى.. وزادها يفــنى.. ولا يحمل الإنسان منها إلا ما قدم من عمل.

تمـــر بنــا الأيــام تتــرى وإنمـــا
نســاق إلى الآجــال والعــين تنظــرُ
فلا عائــد ذاك الشــباب الــذي مضــى
ولا زائــــل هــــذا المشــــيب المكــــدّرُ

أُخية..

فهذه هي أعداؤك الأربعة.. فإن أنتِ جاهدتيها وغالبتيهــا.. سلكت طريق الجهاد.. ودخلت زمرة المجاهدات في قعر البيــوت.. وإن أنت اتبعت الهوى والدنيا والشيطان والنفس الأمارة بالســوء،

ابتليت بالمهالك بحسب اتباعك لها وانهزامك أمامها.

يقول الجنيد: ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا مـــن جاهد هذه الأعداء باطنًا، فمن نصر عليها نصر على عدوه، ومـــن نصرت عليه نصر عليه عدوه(١).

وتذكري.. أن جهاد هذه الأعداء هو الكفيل بأن يوصلك إلى الطاعة والعبادة.. وأن يمكنك من التقوى والزهادة..

- فمن صفت نفسه قويت عزيمته..!
- ومن قهر الشيطان طرق أبواب الإيمان!
- ومن تزهد في الدنيا أحبه الرحمن!
- ومن غلب هواه كانت الجنة مأواه!
- فما هو واقع ذلك الجهاد وما هي منطلقاته في البيوت؟

الجهاد في طلب العلم

طلب العلم من أسمى المطالب... وأجل الخصال والمناقـــب... فهو جسر معرفة الأحكام.. وطريق الإلمام بالحلال والحرام.. لذلك كان الخير كله في طرق بابه.. والوقوف على أعتابه.. قال رســـول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» [متفق عليه].

وكيف لا والفقه في الدين أساس الإيمان والإحسان.

(١) الفوائد لابن القيم ص٩١.

وكيف لا وهو طريق النجاة من مكائد الشيطان.. ومهـــاوي العصيان.. وكيف لا وبه تسهل طريق الجنان.. فعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**» [رواه مسلم].

ومن سهل له طريق الجنة كان من الفائزين!

ولما كان فضل طلب العلم عظيمًا.. كان أجدر ببذل الجهد في تحقيقه.. وخوض الصحاب في تحصيله.. وتجنيد النفس لسلوكه.

أختي المسلمة.. إن قعر البيوت ساحة جهاد وكفاح.. ففيهـــا متسع فسيح لجهاد العلم والعرفان.. وجعلها قلعة تصـــنع بســـلاح العلم مقامع الشيطان!

ألم تسمعي قول رسول الله ﷺ: «**من خرج في طلب العلـــم، كان في سبيل الله حتى يرجع**»(١).

وكذلك المرأة المسلمة في بيتها تكون مجاهدة في سبيل الله مـــا دامت تبذل جهدها ووقتها ومالها في طلب العلم والفقه في الـــدين، بالحفظ والمطالعة والسماع.

فليست العلة في جنس الخروج وإنما في نية الطلب! والنســـاء شقائق الرجال في الأحكام، فتأملي.

فطوبى لمؤمنة تربعت في زاوية بيتها.. تحفظ من كتاب الله مـــا تؤدي به فرضها.. وتزكي به نفسها.. وتعلم به غيرها.. وتقـــرأ في

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

الأحكام ما تصح به العبادة.. وتحصل به الزهادة.. وتسمع من فتاوى العلماء.. ودروس الخطباء ما ينير لها طريق الهداية.. ويجنبها سبل الغواية.

فطوبى لها.. وقد غمرتها في بيتها الرحمة، وتنزلت عليها السكينة وحفتها الملائكة بأجنحتها رضى بما تصنع!

فعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[١].

١- جهاد العلم فريضة على الرجال والنساء: فقد قال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٢].

ولكن قد يشكل على هذا الحديث أن الرسول ﷺ خصَّ الرجال بالذكر دون النساء، ولكن الحافظ السخاوي رحمه الله أجاب على هذا الإشكال بقوله: «قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث «ومسلمة» وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كان

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه ابن عدي والبيهقي وحسنه جمع من أهل العلم. انظر تخريج أحاديث مشكلة الفقر رقم (٨٦).

معناها صحيحًا»[١].

وعلى هذا فيكون فرض طلب العلم شاملاً للجنسين، مــع أن النساء في الأصل شقائق الرجال في الأحكام، فيكون فرض تعلمها شاملاً لها لأنه لا سبيل لمعرفة الأحكام إلا به.

يقول ابن حزم رحمه الله: «ويجب علــيهن – أي النســاء – للتفقه في الدين، كوجوبه على الرجال، وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام، وما يحل، وما يحرم: من المآكــل والمشارب، والملابس كالرجال، ولا فرق. وأن يعلمــن الأقــوال والأعمال: إما بأنفسهن، وإما بالإباحة لهن لقــاء مــن يعلمهــن. وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك»[٢].

ولما كان قرار المرأة في بيتها واجبًا، وطلب العلــم في حقهــا واجبًا أيضًا، جعل الإسلام تعليمها في البيت من واجبات الــزوج وآداب عشرته لها و إلا وجب عليه أن يأذن لها في الخروج لــتعلم العقائد والأحكام المحتمة المعرفة على من هو أهل لذلك بالضــوابط الشرعية المعروفة.

٢- ما يجب على المرأة تعلمه: وليس عموم العلم فرضًا علــى المرأة فقهه ودرايته، ولكن الواجب من ذلك ما تمس له حاجتــه في الاعتقاد والعبادات. فيجب عليها:

١- معرفة الإيمان وأصوله، مما هو واجب المعرفة من المعتقد في

(١) المقاصد الحسنة، ص٢٧٧.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد بن حزم (٤١٣/١).

توحيد الله وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليـــوم الآخر والقدر خيره وشره.

٢- معرفة أحكام العبادات كالطهارة والصلاة والصيام، ومـــا يتعلق بذلك من أحكام وشروط وأركان ومبطلات وغير ذلك ممـــا تصح به عباداتها.

٣- معرفة أصول الحلال والحرام، والمنهيات التي قد تعترضـــها في حياتها سواء فيما يتعلق باللباس والحجاب وشروطه، أو في المأكل أو المشرب.

٤- معرفة أحكام الأخلاق والآداب الواجبة ونقائضها، كالغيبة والنميمة وغيرها مما تعم به البلوى في حياة النساء ويخشى عليهن من التفريط أو الإفراط فيه.

فمن آداب الزوج أن يتعلم من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة، وما يُقض منـــها في الحيض وما لا يقض، فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها، ويخوفها في الله إن تساهلت في أمر الدين، ويعلمهـــا مـــن أحكـــام الحـــيض و الاستحاضة ما تحتاج إليه.

وعلم الاستحاضة يطول، فأما الذي لابد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيض: بيان الصلوات التي تقضيها، فإنها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة، فعليها قضاء الظهر والعصر، وإذا انقطع

قبل الصبح بمقدار ركعة، فعليها المغرب والعشاء، وهذا أقــل مــا يراعيه النساء.

فإن كان الرجل قائمًا بتعليمها، فليس لها الخــروج لســؤال العلماء، وإن قصر علم الرجل، ولكن نــاب عنــها في الســؤال، فأخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج، فإن لم يكن ذلك، فلــها الخروج للسؤال، بل عليها ذلك، ويوصى الرجل بمنعهــا، ومهمــا تعلمت ما هو من الفرائض عليها، فليس لها أن تخــرج إلى مجلــس الذكر، ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه، ومهما أهملت المرأة حكمًــا من أحكام الحيض والاستحاضة، و لم يعلمها الرجل، خرج الرجــل معها وشاركها في الإثم»[1].

أختي المسلمة... ولا شك أن وسائل التعليم في زماننا تســمح لكل مؤمنة صادقة أن تستغني عن الخروج للسؤال في كــثير مــن المسائل في المعتقد والعبادة.. فانتشار الشريط الإسلامي المســموع سهل دخول العلماء إلى البيوت.. وأمكن نساء المؤمنين اســتماع الدروس والخطب والنصائح والتوجيهات والفتاوى والــرد علــى الإشكالات، مع ما ظهر من انتشــار الكتــب علــى اخــتلاف أحجامها، ومواضيعها مما يمكن اقتناؤه ومطالعته.

فجاهدي نفسك بسماع الدروس المشروحة، ومدارستها مــع أهل العلم والعرفان من الصالحات ما أمكن، وابــذلي وســعك في المطالعة والحفظ يرفع الله شأنك في الدنيا والآخرة.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/٧٣٠.

هذا ولا ينبغي للأخت المسلمة أن تجعل حرصها على العلم ينسيها مسؤولياتها مع زوجها وأبنائها، فالحكمة تقتضي توزيع الأدوار وأدائها في أوقاتها بنظام ومرونة.. من غير تغليب لجانب على الآخر.

وفي مطالعة سير العالمات من كتب التراجم ما يشحذ الهمم للطلب، ويقوى العزائم لركوب سلم المعارف والعلوم.

فمن صالحات السلف: سُتَيْتةُ بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي:

«كانت عالمة فقيهة، مفتية، تفقهت بأبيها، وروت عنه، وحفظت القرآن والفقه، والفرائض، والحساب، والدور، والعربية، وغير ذلك، وكانت من أحفظ الناس للفقه، ومن أعلم الناس في وقتها لمذهب الشافعي... وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة، مسارعة إلى فعل الخيرات..»[1].

فلو كن النساء كما ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

الجهاد في الزوج

جهاد الزوج من أعظم ما تقوم به المرأة المسلمة من الطاعات، ومن أنفس ما تبذله من القربات، ومن أعظم ما تؤديه من الواجبات

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٢٦٤.

والمسؤوليات.

فهو أحق ببرها من الوالدين والأقربين والناس أجمعين!

وإذا كان الله جل وعلا قد جعل للوالـــدين مكانـــة عظيمـــة وأوصى ببرهما والإحسان إليهما وترك التـــأفف منـــهما وإكـــرام صديقهما.. فإن الزوج أحق بذلك الإكرام منهما لأن منزلته عنـــد زوجته – كما قررها الإسلام – أعلى وأسمى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس على المرأة بعـــد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج»[1].

وكيف لا وقد أخبر رسول الله ﷺ أن الزوج هو جنة زوجتـــه أو نارها، فعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيـــت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: **أي هذه! أذات بعل؟** قلت : نعم قال: **كيف أنت له؟** قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: **فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك أو نارك**»[2].

فكيف تجاهد المرأة في زوجها؟

١- حسن السمع والطاعة: فإن طاعته ثابت بـــنص القـــرآن والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَـــاتٌ حَافِظَـــاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ [النساء: ٣٤].

ومعنى قانتات: أي مطيعات لأزواجهن في المعروف مطلقًا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٦٣).

(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**».

ولذلك كانت خيرية النساء منوطة بطاعة الأزواج وإحســـان عشرتهن، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل يا رسول الله! أي النســـاء خير؟ قال: «**التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمـــر ولا تخالفـــه في نفسها ولا ماله بما يكره**»[1].

والمؤمنة المجاهدة في بيتها هي التي تجعل طاعة زوجها في طاعـــة الله، فتطيعه في المعروف مطلقًا، فلا تعاوده في الكلام، ولا تجابهـــه بالملام، ولا تلد في الخصام، ولا تمنعه نفسها في الفراش، بل تكنُّ له المودة والتقدير والاحترام.

٢- حفظه واستئذانه: فإذا غاب زوجها حفظتـــه في غيبتـــه، وحفظت له ماله وأولاده، ولم تخنه في نفسها، وأخلصت في حبـــه كما لو كان حاضرًا في بيتها، وإذا أرادت الخروج لحاجة لم تخرج إلا بإذنه وعلمه ورضاه، فإن خرجت فمحجبة محتشمة، متجنبـــة مواقع الفتنة، ملازمة جوانب الطرقات، غاضة لبصـــرها، حافظـــة لشرها.

٣- معاشرته بالمعروف: وذلك بتوقيره وإكرامه، والتودد لـــه وإعظامه، وحفظ جميع أسراره، والقناعة بعيشه في غناه وإقتـــاره، وشكره إذا أنفق وإعذاره إذا أخفق، وحسن التـــدبير في عيالـــه،

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٨٣٨).

وحكمة التقدير في ماله.

والمؤمنة التي تجمع هذه الصفات هي البعول الودود، العـــروب العؤود، التي أخبر رسول الله ﷺ أنها مـــن أهـــل الجنـــة بقولـــه: «**ونساؤكم في الجنة الودود العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يـــدها في يـــد زوجهـــا، وتقـــول: لا أذوق غمضًا**[١] **حتى ترضى**»[٢].

وخير النساء من ســـرت الـــزوج منظـــرًا
ومـــن حفظتـــه في مغيـــب ومشـــهد
قصـــيرة ألفـــاظ قصـــيرة بيتـــها
قصيرة طـــرف العـــين عـــن كـــل أبعـــدِ
عليـــكَ بـــذات الـــدين تظفـــر بـــالمنى
الـــودودِ الولـــودِ الأصـــل ذات التعبـــد

الجهاد في الوالدين

أختي المسلمة... ومن أعظم أبواب الأجر، وأفرض الجهاد: بر الوالدين والإحسان إليهما، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداك؟**» قـــال: نعـــم. قـــال: «**ففيهمـــا فجاهد**»[٣].

---

(١) أي لا أنام ولا يغمض لي جفن.
(٢) رواه النسائي بنحوه وهو حديث حسن، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٢٨٧).
(٣) رواه البخاري ومسلم.

ولقد قرن الله جل وعلا برهما بتوحيده والإيمان، للدلالة على عظم شأن الإحسان إليهما وفضله عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي جعل الإحسان إلى الأبوين قرينًا لتوحيد الله وعبادته من الإعلان بتأكيد حقهما والعناية بشأنهما ما لا يخفى»[1].

وبر الوالدين أفضل من نفل الصيام والصلاة والذكر وتلاوة القرآن، وهو من أوسع الطرق إلى الجنة، وأسهل مراكب النجاة ونيل الدرجات، فقد قال ﷺ: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف!**» قيل من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**» [رواه مسلم].

وتأملي – أختي المسلمة – في قصة عمر رضي الله عنه مع أويس القرني، فقد كان عمر رضي الله عنه حريصًا على لقياه، وإذا أتى أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ فقال: نعم. فقال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتيكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي، فاستغفر له فقال

(١) فتح القدير، للشوكاني ٣/٢١٨.

عمر: أين تريد؟ قال: أريد الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي. [رواه مسلم].

ويتبادر إلى الذهن سؤال وهو: ما الذي رفع شأن هذا التابعي الجليل وجعل عمر ﷺ يسأله أن يستغفر له؟

إنه بر الوالدين والإحسان إليهما. فقد جعله الله ببره بوالدته من أوليائه المؤمنين ومن مستجابي الدعوة عند الله.

فجاهدي أخية في آبائك فإن الجهاد فيهما يؤتي أكله في الدنيا عزًا وتشريفًا وفي الآخرة ثوابًا ومنزلة.

وكوني مطاوعة لهما في الأوامر، سباقة إلى تحقيق مرادهما.

واحذري من رفع الصوت عليهمـــا أو التـــأفف منـــهما أو الاستهتار بقولهما.

وكوني لهما في البيت خادمة ليلاً ونهارًا، ودودة في حـــديثهما، ذلولة في خدمتهما.

فعن ابن عون المزني أن أمه نادته فأجابها فعلا صـــوته صـــوتها فأعتق رقبتين.

وعن مجاهد قال: «إن بلغا عندك من الكبر فيبولان ويخريان فلا تتقززهما ولا تقل لهما أفٍّ! وأمط عنهما الخراء والبول كما كانـــا يميطان عنك صغيرًا ولا يتأففان»[1].

---

(١) الدر المنثور، للسيوطي ٥/٢٥١.

فكـــم ليلـــة باتـــت بثقلـــك تشـــتكي
لهـــا مـــن جواهـــا أنـــة وزفـــير
وفي الوضع لـــو تـــدري عليهـــا مشـــقة
فمـــن غصـــص منـــها الفـــؤاد يطـــير
وكـــم غســـلت عنـــك الأذى بيمينـــها
ومـــا حجرهـــا إلا لـــديك ســـرير

الجهاد في الأبناء

وأما الجهاد في الأبناء، فيكون بتربيتهم التربية الصالحة، وتعليهم وتوجيههم للخير والإحسان إليهم بالنفقة واللباس والقيـــام علـــى تنشئتهم على الملة القيمة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[1].

وجهاد المرأة في أبنائها يكون بتربيتهم على الفضائل والأخلاق الإسلامية، والآداب الشرعية والفرائض والواجبات الدينية. فعـــن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عنه قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهـــم**

(١) رواه البخاري ومسلم.

أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»[١].

ويشمل ذلك الحرص على تعليمه القرآن بالتلقين والتحفـيظ والترتيل والشرح لما يجب شرحه، ويستحسن لهم قصار السور من سورة الزلزلة إلى سورة الناس.

وهذه أم سفيان الثوري: كانت رحمها الله تعلم ابنها سـفيان، وتكفيه مؤونة العيش بمغزلها وتقدم له ليتفرغ للعلم وكانت دائمـة النصح له. وقالت له مرة: «**يا بني إذا كتبت عشـرة أحـرف، فانظر: هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقـارك، فإن لم تجد ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك**»[٢].

خلَفْـتِ جـيلاً مـن الأبطـال سـيرهم
تضـوع بـين الـورى روحًـا وريحانًـا
كانـت فتـوحهم بـرًا ومرحمـة
كانـت سياسـتهم عـدلاً وإحسـانا
لم يعرفـوا الـدين أورادًا ومسـبحة
بـل أُشـبعوا الـدين محرابًـا وميـدانا

---

(١) رواه أبو داود وهو حديث حسن.
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٣/١٨٩.

جهاد العبادة

لقد تطرقنا في «جهاد النفس» إلى بعض العبادات والقربـــات التي تزكي النفس وتقمع جموحها إلى الشهوات.

وجهاد العبادة في الأصل، يشمل جميع الأعمـــال والأقـــوال والاعتقادات الظاهرة والباطنة مما يحبه الله ويرضاه.

ولا يخفى عليك – أختي المسلمة – أنك ما خلقت إلا للعبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُـــدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن أجل تحقيق هذه العبادة في الأرض فرض الجهاد بأنواعـــه وأشكاله.

فكيف يكون جهاد العبادة في البيوت؟

١- أداء الصلوات الخمس: لأن الصلاة هي أهم الفـــرائض، ومعيار قبول الأعمال عند الله، ولا سيما وقد ورد في حث المـــرأة على الحفاظ عليها قول رسول الله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمســـها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيـــل لهـــا ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»(١).

وإنما يكون أداؤها وقيامها، بمراعاة شروطها وسننها وأركانهـــا والحرص على الخشوع فيها والحفاظ عليها في أوقاتها.

---

(١) رواه مالك وأحمد وابن حبان، وحسنه الألباني في آداب الزفاف ص٢٨٦.

وتذكري – أخية – أن الإسلام ما حث على الصلاة وعظـــم شأنها إلا لأنها طهارة للقلوب وكفارة للذنوب. فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا**» [متفق عليه]، فأداؤها من أوسع أبـــواب المغفـــرة وتركها كفر والعياذ بالله.

٢– أداء النوافل: فهي سهلة الأداء، وجزاءها من أعظم الجزاء، فعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضـــي الله عنـــهما، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يصـــلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة – أو – إلا بني له بيت في الجنة**» [رواه مسلم].

وهي أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر، وركعتين بعد الجمعة (١).

واعلمي – أخية – أن هذه الرواتب وغيرها من النوافل كصلاة الضحى وركعتين بعد كل وضوء وبين الأذان والإقامة، كلها مـــن أسباب زيادة الإيمان ونموه وتقويته، وكلها توجب محبـــة الله جـــل وعلا للمؤمنة المجاهدة في أدائها بصدق وإخلاص وخضوع.

---

(١) كما دل على ذلك حديث عائشة عند الترمذي، وهو حسن وحديث ابن عمرو المتفق عليه.

٣- قراءة القرآن بتدبر: فإنه يحيي القلوب، ويجدد فيها حلاوة الإيمان، ويذكر بالآخرة وأحوالها ويشحذ في النفوس عزيمة الصـــبر على هموم الدنيا ونكدها.

مع أن قراءته سبب لثواب عظيم، وجزاء كريم، فعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» [رواه مسلم].

٤- قيام الليل: وهو من أعظم مقويات الإيمان، وأجل القربات وأحبها إلى الله، قال تعالى: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَـــاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر: ٩].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة، صلاة الليل**» [رواه مسلم].

فاستمسكي — أخية — بهذه الفضيلة، واتخذي لها أسبابها مـــن قلة أكل، ونوم بالنهار، واستعانة بالذكر والدعاء على تحصـــيلها، فإنها منحة إلهية، لا يوفق لها إلا من أراد لهم الخير في الدنيا والآخرة.

٥- ملازمة الأذكار: وقد أسلفنا الكلام على ذلك وذكرنـــا فضيلة الأذكار وتأثيرها العجيب على القلب. ويستحســـن قـــراءة كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، فإنه قـــد جمـــع فوائد الذكر وآثاره على النفس، وتضمن الأذكار والأوارد التي لا غنى لمؤمن ولا مؤمنة عنها في جهاد العبادة.

ولا بأس أن نلقي نظرة في صفحات التاريخ، ونطل طلة علـــى

بيت واحدة من الصالحات، كيف كانت في قعر بيتها تجاهد نفسها بالذكر.

قال أحمد بن علي: استأذنا على «عفيرة» فحجبتنا، فلازمنا الباب، فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا، فسمعتها وهي تقول: «اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك» ثم فتحت الباب ودخلنا عليها، فقلنا لها: يا أمة الله ادعي لنا. فقالت: جعل الله قراركم في بيتي المغفرة، ثم قالت لنا: «مكث عطاء السلمي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء، فحانت منه نظرة، فخر مغشيًا عليه، فأصابه فتق في بطنه، فيا ليت عفيرة إذا رفعت رأسها لم تعص، ويا ليتها إذا عصت لم تعد».

وعنها قالت رحمها الله: «ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف أنام أو كيف يقدر على النوم من لا نام عنه حافظًا ليلاً ونهارًا»[1].

فتأملي – أختي المسلمة – في حال هذه المرأة الصالحة، المجاهدة العابدة، لا يفتر لسانها عن ذكر الله، حتى إنها لتستعيذ بالله من شاغل يشغلها عن ذلك، ولا تنام إلا قليلاً حرصًا على العبادة وخوفًا من الله.

فلتقتفي – أخية – طريقها وليكن ذكر الله زادك في بيتك على سائر أحوالك فإنه أسهل العبادات، وأيسر القربات.

---

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي ٣٣/٤٠.

٦- اجتناب محبطات الأعمال: وقل من ينتبه لهذا الأمر علـــى حاجة الناس إليه، فإن المؤمنة قد تعمل في بيتها عبادات وتسمع بها، فتفشي أسرار عباداتها في قعر بيتها وتخرجها من سر الإخـــلاص إلى علانية الرياء، أو ربما دخلها العجْبُ فأعجبت بنفسها ورأت أن لها فضلاً وتكريمًا لما هي عليه من الجهاد والعبادة والطاعة والاســـتقامة فيصيبها الغرور الذي أصاب إبليس فتصاب كما أصيب بالتفليس. والله المستعان.

يقول ابن القيم رحمه الله فمعرفة ما يفسد الأعمـــال في حـــال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفـــتش عليه العبد، ويحرص على عمله»[1].

كم ذا التشـــاغل والأمـــل — كم ذا التـــواني والكســـل
حـــتى مـــتى وإلى مـــتى — يحص عليـــك فـــلا تمـــل
يـــا مـــن يعـــزب نفســـه — وعن الصلاح قـــد امتـــهل
المـــوت أقـــرب نـــازل — والقبر صـــندوق العمـــل

(١) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، صححه سليم الهلالي ص٢٥.
ويستحسن قراءة كتاب «مبطلات الأعمال في ضوء القرآن والسنة الصحيحة» لسليم الهلالي.

خاتمة

أختي المسلمة... تلك هي معالم الجهاد في البيوت... وتلك هي إيقاعاته.. ومنطلقاته..

فما البيوت إلا جزء مغطى من كوكب نقضي فيه سفر الحياة.. لنعود إلا ديارنا الأولى.. في الجنان.. فمن اتخذت بيتـــها مســـتقرًا للطاعة والعبادة.. فقد اشترت بذلك دارها في تلك الجنان!!

وليست البيوت.. مقهي لسماع الأغنيات.. أو مسرحًا لرؤية الأفلام والمسلسلات.. أو دارًا لفضائح الفضائيات..

قد كنت ميْتًا فصرتَ حيًّـــا وعن قريب تَصـــير ميْتـــا
بنيْتَ بـــدار الفنـــاءِ بيْتـــا فابْنِ لـــدار البقـــاءِ بيْتـــا

فاقتفي – أخية – تلك المعالم.. ففي قعر بيتك متسع لجهـــاد ومجاهدة.. وصراع ومكابدة..

واعلمي أن طريق الجهاد لا ينال إلا بالصبر.. فوطني نفســـك على تحمل المكاره.. وتخطي الصعاب.. وإن يعلم الله في قلـــوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس